تـمّ تحميـل هـذا الملـفّ مـن مكتبـة الأديـب الرّاحـل رمضـان لاونـد | جميـع الحقـوق محفوظـة © www.RamadanLawand.com

الأَديب و المُفكِّر الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَند
سيّد المنابر

الإسلام عند غير المسلمين

الحلقة (7)

بإسم الله أبـدأ ..

وفي ظل المصطفى عليه الصلاة والسلام يكون الحديث ..

وبهدي من دين الإسلام يمضي الفكر يلتمس التوفيق ..

أيها الأخوة العرب ..

سبق أن عرضت هذا اللقاء للمفكر المؤرخ البريطاني هـ.ج ويلز ونظرته الثاقبة في الإسلام وتقديره العلمي لأوائل المسلمين ..

واليوم .. أقدم للسامعين ما سجله المفكر المؤرخ الانجليزي عن حضارة العرب في ظل الإسلام ، وفيه سيجد أبناء عصر الذرة وغزو الفضاء ما يؤكد لهم فضل الإسلام على العرب وحضارة أوروبا وأمريكا والقرن العشرين ، وما يعيد إليهم الثقة بالدين والفخر بالعروبة ، ودهشتهم لما يحققه غير العرب وغير المسلمين تشتد وتعظم مع الأيام .

وقبل أن أبدأ في عرض ذلك التسجيل التاريخي للمفكر المؤرخ البريطاني هـ.ج ويلز أرى لزاما أن أعيد تقديمه إلى السامعين ليعرف من لا يعرف وليذكر من لا يذكر القيمة العلمية المحايدة لهذا الانجليزي والقيمة التاريخية العالمية أيضا ..

هربرت جورج ويلز .. واشتهر باسم هـ.ج ويلز ولد عام 1866 ، وتوفى عام 1946 ، حصل على بكالوريوس العلوم عام 1888 ، وقام بالتدريس عدة سنين ، ثم انطلق يقرأ ويحلل ويؤرخ ويؤلف ، حتى وصفه معاصره المفكر الانجليزي الشهير جورج برناردشو بأنه الكاتب المتبني والناصح الواعي لإنسان عصر العلوم .

لقد خرج هـ.ج ويلز من دراساته وتأملاته عبر آلاف السنين التي عاشها الإنسان فوق هذه الأرض بحقيقة راح يدعو لها كفكر يجب أن يسود الدنيا كلها أن يؤمن الجميع بالأخوة البشرية الحقة ووحدة العالم أجمع .

من بين دراسات هـ.ج ويلز تسجيله لتاريخ العالم من خلال بحث علمي دقيق وتأمل صادق أمين ..

كان الإسلام وأثره في العرب والحضارة البشرية كلها موضع اعجاب واحترام تجلى في الغالبية الساحقة من الفقرات التي سجلها في كتابه موجز تاريخ العالم ..

ففي الفصل الرابع والأربعين ..نجده يؤرخ للحضارة الإسلامية تحت العنوان الضخم " عهد عظمة العرب " ..

يبلور المفكر المؤرخ البريطاني هـ.ج ويلز هذه العظمة العربية في سطور قليلة يمهد لها لفقرات وافية لما أحدثه العرب بالإسلام في التطور الحضاري البشري .

يقول هـ.ج ويلز ما ترجمته بالحرف الواحد :

لقد انطلق الذكاء العربي في طول العالم وعرضه بشكل أسرع وأعظم مما فعله العقل اليوناني قبل الإسلام بألف سنة ، ولهذا اشتدت وإلى أقصى الحدود الاستنارة الفكرية بكل ما أحدثه واستثاره وجود العرب المسلمين للعالم كله إلى الغرب من بلاد الصين ، في نفس الوقت الذي اشتد فيه تمزيق الأفكار القديمة وصناعة وتطوير قيم وأفكار أخرى جديدة ، حتى أنه يمكن القول أن العلم كان يثب على قدميه وثباً في كل بقعة وطأتها قدم الفاتح العربي " ..

ويناقش المفكر المؤرخ البريطاني هـ.ج ويلز سبب هذا التحول في حياة العرب : من قبائل متقاتلة إلى دعاة عقيدة ورواد فكر وقادة حضارة وأساتذة علوم بقوله " إن الإسلام هو الذي جعل العرب قرة فعالة في تاريخ الإنسانية " ..

وإذ يؤرخ ويلز نراه يبرز حقيقة من أغرب حقائق التاريخ .. فالأصل أن تقدم الشعوب وتحضرها يرتبط عضوياً بالتطور السياسي والاقتصادي .. ولكن العرب المسلمين خالفوا القاعدة التاريخية واستمروا زماناً طويلاً صناع الحضاره الإنسانية في العصور الوسيطة .

قال : هـ.ج ويلز :

" عندما حل القرن الثامن الميلادي كانت للدولة الإسلامية منظمات تعليمية منتشرة في كل مكان من العالم المستعرب ، وإذ بدأ القرن التاسع كان العلماء في مدارس قرطبة باسبانيا يتبادلون رسائل العلم مع زملائهم علماء القاهرة

وبغداد ونجارى وسمرقند ، وحتى عندما تمزق شمل العرب وضعفت شوكتهم استمر الارتباط الفكري بعد هذا التمزق ، حتى أنه أثمر للعلم في القرن الثالث عشر نتائج عظيمة أثرت في الحضارة البشرية ".

ويبدي المفكر المؤرخ الانجليزي هـ.ج ويلز اعجاباً خاصاً بالأساس العربي في البحث العلمي– إذ كان موضوع هذا البحث– فنراه يذكر إقبال العرب على تجميع الحقائق العلمية لمن سبقهم ، ويشيد بالالتزام العربي الدقيق لروح النقد المنظم لكل الحقائق ، الأمر الذي رده ويلز إلى روح الإسلام حيث لا تأليه ولا تقديس إلا للخالق مما جعلهم في رأيه متفوقين جدلياً وعلمياً على فلاسفة وعلماء اليونان .

ويضرب المفكر المؤرخ الانكليزي الكثير من الأمثلة على التفوق العربي والأثر الإسلامي في مسيرة الحضارة البشرية .

" لقد نجح العرب في إقامة نهضة فريدة ، فقد أعادوا الحياة إلى بذرتي أرسطو ومكتبة الاسكندرية بعد أن طال ركودهما وانصراف الناس عنهما ، فأخذتا بالعرب تنبتان من جديد وتطرحان أرقى الثمار".

ويعرض هـ.ج ويلز لما أحرزه العرب من صور التقدم في علوم الطب والرياضة والفلك والطبيعة ، وكيف أن العرب هم الذين خلصوا البشرية من الأرقام الرومانية القبيحة واستبدلوها بالأرقام العربية التي يستخدمها الغرب اليوم ، ولا يفوت المؤرخ البريطاني أن يشير إلى أن العرب هو أول من استخدم علامة الصفر ، وأن علم الجبر علم عربي الأصل ، وأن كلمة كيمياء بكل أصولها التجريبية الأولى عربية اللفظ والمنبت والتجريب ،وأن اكتشاف المئات من نجوم وكواكب الفضاء تم بفضل علماء الفلك من العرب المسلمين ، وباختصار قال هـ.ج ويلز :

إن حضارتنا اليوم تحتفظ بذكريات فتوح العرب في أجواز السماء وأن الفلاسفة العرب أعادوا الحياة إلى الفكر الفلسفي العالمي وأن النهضة الفكرية خلال القرون الوسطى في كل من فرنسا وايطاليا والعالم المسيحي ترجع إلى ما ابتدعه وتوصل إليه المفكرون العرب المسلمين "..

ويعني المفكر المؤرخ البريطاني هـ.ج ويلز وهو خريج كلية العلوم بتخصيص فقرات عديدة لاستعراض الكيمياء عند العرب ، ونظرا للقيمة العلمية التاريخية لحديث عالم كيميائي ومفكر مؤرخ مثل هـ.ج ويلز أود أن أقرع سمع الشباب العربي اللاهث عجبا وانبهارا خلف مخترعات الحديثه في الكيمياء بعبارات هـ.ج ويلز في وصف التقدم الكيميائي عند العرب .

قال هـ.ج ويلز :

" لقد أدرك الكيميائيين التجريبيين العرب ما قد تعود عليهم اكتشافاتهم من مزايا هائلة وما قد تحدثه في الحياة البشرية من آثار بعيدة المدى فابتدعوا نظام سرية التجارب ، ولكن رويداً رويداً أصبحت تجارب هؤلاء الكيميائيين العرب تعاونية واجتماعية إيماناً منهم بالفائدة التي تعود عليهم من تبادل الأفكار ومناقشتها ، وقد سجل لهم التاريخ أنهم وفقوا إلى كثير من الاستنباطات التجريبية والتطبيقية في المعادن وغيرها ذات قيمة علمية وتجارية قصوى ، فهم الذين ابتدعوا السبائك والتقطير وزجاج العدسات وطوروا الأصباغ والألوان ونجحوا في كشف أسرار الحياة في الجماد والنبات " .

ويختتم هـ.ج ويلز الكيميائي الانجليزي ،المفكر المؤرخ ،حديثه عن العلم العربي الأصل الكيمياء فيقول في ختام الفصل الرابع والأربعين من كتابه عن تاريخ العالم :

" عن الكيميائيين العرب انتشرت إلى العالم المسيحي التجارب المعقدة الحافلة بالمشقة القائمة على الصبر تريد فيما تريد صناعة الذهب واكسير الحياة ، ولكنهم في محاولاتهم عثروا للبشرية على مناهج العلم التجريبي الذي يوشك في خاتمة المطاف أن يمنح الإنسان سلطاناً لأحد له على العالم كله..بل وعلى مصائره هو نفسه"..

التجريبي الذي سيعطى الإنسان ولا شك قدرة لانهائية يتحكم بها في العالم كله ويصنع بها مصيره هو نفسه كإنسان ".

هذا جانب آخر من حديث المفكر المؤرخ الانجليزي الشهير هـ.ج ويلز عن التفوق الحضاري عند المسلمين وأثره كأصل ثابت التاريخ لحضارة البشرية في هذا القرن العشرين "..

فالعرب مؤلفو علم الجبر.

فالعرب صناع العدسات ..

والعرب مبتدعو التقطير ..

والعرب أول الكيميائيين التجريبيين ..

وما قامت حضارة القرن العشرين ، بأروع ما حققته من انتصارات الفضاء الأعلى أبجدية هذه العلوم التي وضعها علماء من المسلمين منذ مئات السنين ..

فمزيداً من الثقة يا عرب ..

ومزيداً من الإيمان بالإسلام ..

ومزيداً من العمل الحضاري المبدع ..

والله الموفق ..الله المعين ..